المحاضرة (07)

النقد الأسلوبي:

1-الأسلوبية و علم الأسلوب:

1-1- مفهومه:

أ- **لغة:** الأسلوب من مادة (س ل ب) سلب، سلبهُ الشيء أو يسلبه سلبا، واستلبه إياه، والاستلاب الاختلاس، والسلب ما يسلب، وفي التهذيب ما سلب به، والجمع أسلاب، وكل شيء على الإنسان من اللباس فهو سلب، والفعل سلبته إذا أخذت سلبه[1]، ويقال للسطر من النخيل أسلوب، وكل طريق ممتد فهو أسلوب، قال والأسلوب الطريق والوجه والمذهب، ويقال أنتم في أسلوب سوءٍ، ويجمع أساليب والأسلوب الطريق تأخذ فيه، والأسلوب بالضمّ الفن، ويقال أخذ فلان في أساليب من القول؛ أي أفانين منه، وإنّ أنفه لفي أسلوبٍ إذا كان متكبرا، قال: أنوفهم بالفخر في أسلوبٍ[2]، والسَّلوبُ من النوق التي يؤخذ ولدها، وجمعه سلائب، وقيل هي الناقة إذا ألقت ولدها لغير تمامٍ، وجمعه سلبٌ[3].

وفي الجذر الغربي مأخوذة من الكلمة الإنجليزية Style؛ أي أسلوب، وأصلها يعود إلى الجذر اللاتيني، حيث تعني عصا مدببة تستعمل للكتابة على الشمع، ويراد بها أداة الكتابة كالقلم والريشة، ثم انتقل بطريقة المجاز إلى مفاهيم تتعلق بطرائق الكتابة، ثم أطلق على التعبير الأدبي؛ ومعنى ذلك أن الأسلوب معروف في كتب البلاغة اليونانية بمعنى "التعبير ووسائل الصياغة"[4].

ب-اصطلاحا:

الأسلوب في أبسط تعريف له وأوضحه طريقةُ الكاتب في التعبير عن مواقفه، والإبانة عن شخصيته، باختبار ألفاظه وصياغة جمله وعباراته والتأليف بينها للتعبير عن معاني القصد منها الإيضاح والتأثير[5]، وهو المفارقة Départure، أو الانحراف Déviation عن أنموذج آخر.

من القول ينظر إليه على أنه معيار أو نمط ، وبالمقارنة بينهما يحصل التمييز بين النص المفارق والنص النمط، ويشترط لجواز المقارنة تمثل المقام بينهما[6]، كما يُعرّفُ على أنه اختيارٌ أو انتقاءٌ يقُومُ به المنشئ لمسميات لغوية بعينها من بين قائمة الاحتمالات المتاحة في اللغة[7].

والأسلوب وفق الطريقة التقليدية يعرف بالتمييز بين ما يقال في النص الأدبي وكيف يقال، أو بين المحتوى والشكل، ويشار إلى المحتوى عادة بالمصطلحات الآتية: المعلومات أو الرسالة Message، أو المعنى المطروح، بينما يُنظر إلى الأسلوب على أنه تغييرات تطرأ على الطريقة التي تطرح من خلالها هذه المعلومات مما يؤثر على طابعها الجمالي أو على استجابة القارئ العاطفية[8].

ينقسم تعريف الأسلوب إلى ثلاثة أقسام:

1- **التعريف الشائع:** يرى جورج بوفون أن الأسلوب هو الرجل، وهو طريق الكتابة لكاتب من الكتّاب أو لجنس من الأجناس أو لعصر من العصور.

2- **تعريف الكُتّاب:** يرى البعض أن الأسلوب هو سمة أصلية من سمات الفكر الفردي، حيث يقول عنه شوبنهاور "هو مظهر الفكر" ويرى فلوبير أنه "طريقة مطلقة لرؤية الأشياء" ويلخص لنا فريديريك دولفر وجهة نظر بروست التي يؤكد فيها أنّ كل فنان كبير يترك بصماته الخاصة فيما يكتب؛ لأنه يستخلص من كل شيء ما يناسب عبقريته الشخصية[9]، كما يعتبر الأسلوب أداةً، واهتمامُ الكاتب به يأتي من كونه يستخدم في العمل الكتابي، ومادام الأمر كذلك فلا بد له، حيث ينقل الفكرة ويشحنها بطاقة تعبيرية قصوى[10].

3- **التعريف اللساني:** يرى بيار جيرو أن الأسلوب جزء لا يتجزأ من الدرس اللساني في قوله "إنّ كلمة أسلوب إذا رُدّت إلى تعريفها الأصلي فإنها طريق للتعبير عن الفكر بواسطة اللغة[11].

1-2- نشأة علم الأسلوب:

أ- **عند الغرب:** سبق مصطلح أسلوب Style مُصطلحَ أسلوبية Stylistique في الوجود والانتشار، فالقواميس التاريخية في اللغة الفرنسية مثلا توثق ظهور المصطلح لبداية القرن الخامس عشر[12]، وقد ارتبط مصطلح الأسلوب لفترة طويلة بمصطلح البلاغة، حيث ساعد على تطويع القواعد المعيارية التي تحملها البلاغة للفكر النقدي والأدبي منذ عهد الحضارة الإغريقية وكتابات أرسطو على نحو خاص.

واكتسبت كلمة الأسلوب شهرة التقسيم الثلاثي الذي استقر عليه بلاغيو العصور الوسطى، حين ذهبوا إلى وجود ثلاثة ألوان من الأساليب هي: الأسلوب البسيط والأسلوب المتوسط والأسلوب السامي، باعتبارها تمثل ثلاثة نماذج كبرى في إنتاج الشاعر الروماني فرجيل الذي عاش في القرن الأوّل، وقد

أفاض أرسطو من قبل في أسلوب الخطابة، وكثير مما قاله ينطبق على الخطابة والشعر معا، فللأسلوب صفات عامة يجب أن تتوافر له شعرا كان أو نثرا، وهناك خصائص أخرى تفرّق بين أسلوب الشعر وأسلوب النثر، ثم إنّ من الأسلوب ما هو حقيقة وما هو مجاز[13]، ومردهما إلى قدرة الكاتب أو الشاعر على الابتكار في الأسلوب.

2- الأسلوبية:

تعريفها: تعرف الأسلوبية بأنها مجال من مجالات البحث المعاصر يهتم بتحليل النصوص الأدبية، مع محاولة الالتزام بمنهج موضوعي، يُحلل الأساليب ليظهر جماع الرؤى التي تنطوي عليها أعمال الكتّاب، ويكشف عن القيم الجمالية لهذه الأعمال، منطلقا من تحليل الظواهر اللغوية والبلاغية للنص، مستعينا بآليات اللغة وأدواتها التعبيرية والنقدية[14].

2-1- نشأتها:

لم يظهر مصطلح الأسلوبية إلا في بداية القرن العشرين مع ظهور الدراسات اللغوية الحديثة التي نذكر منها ما قدّمه فرديناند دي سوسير، ويذهب الدارسون إلى تحديد مولد علم الأسلوب في قول عالم اللسانيات الفرنسي جوستاف كوبرتنج: "إن علم الأسلوب الفرنسي مبدؤه شبه مهجور تماما حتى الآن، فواضعوا الرسائل يقتصرون على تأليف وقائع الأسلوب التي تلفت أنظارهم طبقا للمناهج التقليدية، لكن الهدف الحقيقي لهذا النوع من البحث ينبغي أن يكون أصالة هذا التعبير أو ذاك، وخصائص العمل أو المؤلف التي تكشف عن أوضاعها الأسلوبية في الأدب، كما تكشف بنفس الطريقة عن التأثير الذي مارسته هذه الأوضاع[15].

يعد شارل بالي مؤسس علم الأسلوب في المدرسة الفرنسية، وخليفةُ دي سوسير في كرسي علم اللغة العام بجامعة جنيف، وقد نشر عام 1902 كتابه الأول "بحث في علم الأسلوب الفرنسي" ثم أتبعه بدراسات أخرى أسّس بها علم الأسلوب التعبيري، الذي يُعرّفه على أنه "العلم الذي يدرس وقائع التعبير اللغوي من ناحية محتواه العاطفي؛ أي التعبير عن واقع الحساسية الشعورية من خلال اللغة، وواقعُ اللغة عبر هذه الحساسية"[16].

وفي سنة 1941 عبّر عن أزمة الدراسات الأسلوبية وهي تتذبذب بين موضوعية اللسانيات ونسبية الاستقراءات وجفاف المستخلصات، فنادى بحق الأسلوبية في شرعية الوجود ضمن أفنان الشجرة اللسانية العامة، ولا شك أنّ هذا النداء ليس إلاّ بندا من بنود مشروع أفسح منه أرجاء وأعمق جذورا، يخص قواعد إرساء نظرية الأدب بعامة كالتي بشّر بها رينيه ويليك ووارن أوستن في النظرية الأدبية[17].

لتنعقد في سنة 1960 بجامعة إنديانا بالولايات المتحدة الأمريكية ندوة عالمية شارك فيها أبرز اللسانيين والنقاد والأدباء كان محورها الأسلوب، ألقي فيها جاكبسون محاضرته حول اللسانيات الإنشائية، التي أكّد فيها سلامة بناء الجسر الواصل بين اللسانيات والأدب[18].

وفي العام 1965 ازداد اللسانيون ونقاد الأدب اطمئنانا إلى ثراء البحوث الأسلوبية، واقتناعا بمستقبل حصيلتها الموضوعية، وذلك عندما ترجم تودوروف نصوص الشكلانيين الروس إلى الفرنسية، ليتم بذلك في سنة 1969 تأكيد الأسلوبية على أساس أنها علم لساني يتصل بحقل النقد، وذلك على لسان الناقد الألماني ستيفن أولمان "إنّ الأسلوبية اليوم من أكثر أفنان اللسانيات صرامة على ما يعتري غائيات هذا العلم الوليد ومناهجه ومصطلحاته من تردّد، ولنا أن نتنبأ بما سيكون للبحوث الأسلوبية من فضل على النقد الأدبي واللسانيات معا"[19].

3 –اتجاهات التحليل الأسلوبي: للمنهج الأسلوبي عدّة اتجاهات نذكر أشهرها:

3–1– الأسلوبية البنيوية: ظهرت في ستينيات القرن الماضي مع أعمال رومان جاكبسون وتزفيتان تودوروف وكلود بريمون ورولان بارت وجيرار جينيت وجماعة مو وجوليا كرستيفا وجوليان غريماس وجوزيف كورتيس ومايكل ريفاتير، اللذين أثروا الساحة النقدية بعديد البحوث والمؤلفات، لتُجمع في كتاب بداية سبعينيات القرن الماضي معنون بـ"أبحاث حول الأسلوبية البنيوية"، ولم تستطع اللسانيات الحديثة أن تفوت على نفسها فرصة طرح الأسلوب، لذا "استخدمت مصطلح البنية لتُظهر أن القيمة الأسلوبية تتعلق بمكانها ضمن النظام اللغوي، بينما تنتسب كل إشارة من الإشارات إلى بنيتين: الأولى بنية القانون وهي تحديد مكان الإشارة ضمن الفئة الاستبدالية، والثانية هي بنية الرسالة وتحتل الإشارة فيها موقعا تركيبيا مُحدّدا"[20].

3-2- الأسلوبية الإحصائية: يعد بيير جيرو من روادها دون أن ننسى شارل مولر في كتابه "المعجمية الإحصائية: مبادئ ومناهج"، وقد اهتم بيير جيرو خصوصا باللغة المعجمية، مُوظّفا المقاربة الإحصائية في اكتشافها؛ أي أنه ساهم في تأسيس دراسة موضوعاتية إحصائية ترصد البنيات المعجمية الأسلوبية لدى مجموعة من المبدعين مثل: فاليري وأبولينير وكورناي مع تتبع المعجم إحصائيا في المؤلفات الأدبية، باستقراء الحقلين: الدلالي والمعجمي، ولقد انصب اهتمام بيير جيرو على دراسة المعجم في المؤلفات المتميزة بتوظيف الإحصاء واستلهام المقاربة التاريخية التطورية للكلمات، ويتضح ذلك جليا في كتابيه: "اللسانيات الإحصائية : المناهج والمشاكل" و"البنيات الاشتقاقية للمعجم الفرنسي"[21].

3-3- الأسلوبية الأدبية: من بين روادها كارل فوسلر الذي دعا إلى ضرورة الاهتمام باللغة في التاريخ الأدبي، خاصة التحليل اللغوي منها، فجاكبسون مثلا اعتبر الرسالة الأدبية إثارة انتباه عن طريق الإلحاح على بنيتها التركيبية التي ترتكز على دلالة النص، لذلك تتناول الأسلوبية الظاهرة الأدبية من خلال بحث مُكوّناتها اللغوية وخصائصها، فهي منهج يتبع في دراسة الأدب ونقده[22].

3-4- الأسلوبية الوظيفية: رائدها رومان جاكبسون، بترسيمه لخطاطته الاتصالية وبتحليله للوظيفة الشعرية في اللغة، حيث تصوّر خريطة تجسيدية توضحُ المراحل التي تمرّ بها الرسالة بين المرسل (المتكلم) والمُستقبِلُ (السامع)، مرورا بالمرجع ثم الرسالة وصولا عند الشيفرة (اللغة).

هوامش المحاضرة:

1. **ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، 2000، ط1، مج 7، مادة (س ل ب)، ص 224.**
2. **المصدر نفسه، ص 225.**
3. **الخليل بن أحمد الفراهيدي: العين، تح: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العالمية، بيروت، 2002، ط1، مج 2، 262.**
4. **أيوب جرجس العطية: الأسلوبية في النقد العربي المعاصر، عالم الكتب الحديثة، إربد، الأردن، 2014، ط1، ص 11.**
5. **المرجع نفسه، ص 11.**
6. **سعد مصلوح: في النص الأدبي: دراسات أسلوبية إحصائية، عالم الكتب، القاهرة، 2002، ط3، ص 24.**
7. **المرجع نفسه، ص 25.**
8. **عبد المنعم خفاجي وآخرون: الأسلوبية والبيان العربي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، لبنان، 1992، ط1، ص 11.**
9. **منذر عياشي: الأسلوبية وتحليل الخطاب، مركز الإنماء الحضاري، حلب، سوريا، 2002، ط1، ص ص 33-34.**
10. **المرجع نفسه، ص 34.**
11. **المرجع نفسه، ص 35.**
12. **عبد المنعم خفاجي: الأسلوبية والبيان العربي، مرجع سابق، ص 11.**
13. **المرجع نفسه، ص 12.**
14. **أيوب جرجس العطية: الأسلوبية في النقد العربي المعاصر، مرجع سابق، ص 32.**
15. **عبد المنعم خفاجي: الأسلوبية والبيان العربي، مرجع سابق، ص 13.**
16. **المرجع نفسه، ص 14.**
17. **عبد السلام المسدي: الأسلوب والأسلوبية، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط1، 2002، ص 22.**
18. **عبد المنعم خفاجي وآخرون: الأسلوبية والبيان العربي، مرجع سابق، ص14.**
19. **المرجع نفسه، ص 14.**
20. **بيير جيرو: الأسلوبية، تر: منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، حلب، سوريا، ط2، 1994، ص115.**
21. **جميل حمداوي: اتجاهات الأسلوبية، الألوكة للطباعة والنشر، مصر، ط1، 2015، ص15.**
22. **المرجع نفسه، ص16.**